Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العـــربي الإسلامي قد يجد صعوبة التأقلم واللحاق بالمناهج الغربية لأنه ينغمس فـــي الـــتراث وينســـى نفســـه أو أنـــه يقدم قراءة مستقبلية لا يستطيع المجتمع استيعابها، فتحتاج إلى فترة زمنية حتى يتكيف معها. ويكون الوقت قد فات.

وإذا كـــان التراث معين لا ينضب، فهل كان عند المفكرين إرثاً أو عبئاً؟ وهـــل هو مضمون فكري وثقافي وجزء من رصيد أمة بأكملها، حاو لخبراتها وتجاربهـــا، أم أنه أصبح عائقاً أمام أي تطور بسبب تلك الحمولة المعرفية التي ارتـــبطت بـــالمقدس، فكونت جداراً من الصعب تجاوزه "وما يعنينا، نحن، ليس كذلك التشكيك أو الدس على تراث الأمة من منطلق علمانية وعلموية مزعومة، ولا الدعـــوة إلى قطع نهائي وانقطاع عن الجذور بدعوة أننا متخلفون عن ركب الـــزمن وخلاصنا لا يمكن أن يكون إلا في تقمص الجذور بدعوة أننا متخلفون عـــن ركـــب الـــزمن وخلاصنا لا يمكن أن يكون إلا في تقمص نموذج المدنية المـــتفوقة علينا. إن مفهوماً مماثلاً للدخول في زمن الحداثة، وبأي ثمن إذا كان فـــي ذلك طريق خلاص، لا يمكن أن يوصف بالعدمية، والاغتراب عن الذات، من نحو، والاغتراب عن الآخر من نحو آخر"(5).

ويقودنـــا هـــذا التحليل إلى سؤال آخر، ألم تصبح الحداثة الغربية إرثاً أو عبـــئاً؟ وأصـــبحت تمارس فعلاً مساعداً وضاغطاً في الوقت ذاته، وخاصة أننا نـــتعامل معهـــا عـــلى أساس أنها شيء جديد، وفي حين أنها أصبحت تراثاً في بـــلدها. فمفهـــوم التراث مفهوم ممتد عبر حقب زمنية طويلة تصل إلى الحديث والمعاصر الذي هو تراث عند الغرب.

لقد خضعت أغلب القراءات العربية الإسلامية المعاصرة إلى مبدأ النخبوية الـــتي ســـعت إلى تأســـيس فكر عربي إسلامي جديد ترقوي إلا أنها لم تستطع تجاوز التراث العبء فبقيت أسيرة عنده.

وفـــي هذا الإطار يمكن قراءة المشروع الإصلاحي الذي قام على العيش في الحاضر بأدوات الماضي، وذلك بتخير الجهاز المفاهيمي القادر على الإجابة عن أسئلة محددة.

"إن فكـــر الإصلاح كان قد حكم على نفسه بالبقاء سجين الماضي وخارج زمن التجديد بمجرد اقتراحه، إن لم نقل لمفهوم أصالة مشوشة وقلقة، وهو القلق الـــذي لم يتوقف إلى اليوم في استعمال الكلمة، وإعطائها من الدلالات ما تحتمله ومـــا تـــنوء به، ولكن التي تعبر، في العمق، على أن الفكر العربي الحديث قبل مرحـــلة الـــنقد الابســـتملوجي الـــتي يجريها اليوم بقي يضطرب في مصالحة